الفلسفة الجمالية العربية الإسلامية

إن العصر الإسلامي من أغنى عصور التاريخ في كرم النفس والضمير وفي المشاعر الحية المخلصة. من المعلوم أن الإسلام لم ينتشر في الفراغ، فالأمم التي اعتنقته ودانت به أمم عريقة، عرفت حضارات شتى وثقافات متنوعة، ومرت بتجارب روحية ومادية متعددة، لذلك فقد اتصل الإسلام بهذه الأمم جميعاً واتصلت به، واخذ منها وأعطاها. واختلط بأقوام عدة، ونتج عن ذلك كله مزاج فكري واجتماعي واقتصادي وروحي جديد أعطى الحضارات الإسلامية معناها. واستمر هذا التلاقح الحضاري، فكان للتقارب العربي الإغريقي أثراً كبيراً في البناء الفلسفي الذي أنتجه العرب المسلمين، فانتقلت الفلسفة اليونانية إلى المسلمين وتبلورت في أذهانهم وامتزجت في أفكارهم وأثرت فيهم تأثيراً كبيراً. وهذا ما نشاهده بوضوح عند دراستنا للفلسفة الإسلامية ومنها الفلسفة الجمالية. فنجد مدى تأثر الفارابي وابن سينا بآراء أفلاطون وأرسطو. إلا أنهم قد صاغوا فلسفتهم بعقلية عربية إسلامية. فكان كل بحث درسوه لا بد وأن أساسه إسلامي وله طابعه الإسلامي الخالص، لا سيما أن كثير من مفكري الإسلام كانوا يرون أن الحقيقة واحدة وأن الفلسفة تلتقي مع الدين لان أهدافهما مشتركة وغايتهما واحدة. لهذا نجد أن أهم ما يميز الفلسفة الإسلامية إنها فلسفة توفيقية بين الفلسفة والدين. وفي الحقيقة إن الفلسفة الإسلامية قد سارت زمناً طويلاً في ركب أفلاطون وأرسطو، كما استمدت من غير طريق اليونان عوالماً وأفكاراً كثيرة، حتى صارت مركبة كثيرة الوجوه، ولكن في زمن ابن رشد عادت ألي آراء أرسطو واستقرت فيها.

طرق انتقال الفلسفة اليونانية إلى العرب المسلمين

أولاً: الطريق المباشر: وذلك بتأثير الكتب التي تُرجمت إلى اللغة العربية. فقد ترجم العرب كتب **(كيماوس والسفسطائي)** لأفلاطون وكتب **(النفس ، وما بعد الطبيعة)** لأرسطو. وكان من اشهر المترجمين "**حنين ابن اسحق**" و "**يحيى بن عدي**".

ثانياً: (عن طريق السوريين والمصريين) من حملة العلم مثل "يوحنا الدمشقي" و "يحيى النحوي".

ثالثاً: (طريق فلاسفة الإسكندرية – الأفلاطونية الحديثة) عن طريق الفيلسوفين افلوطين وافيلون.

النظرية الإشراقية عند أبي نصر الفارابي Alfarabi

□ حياته (٢٦٠-٣٣٩هـ) / (٨٧٤-٩٥٠ م)

إذا كان أرسطو قد رسم طريق العقل وحلل مراحل التفكير، فقد جاء الفارابي ليتقن هذا التراث الفلسفي ويستوعبه ويقدمه إلى أبناء العربية، فاستحق بذلك لقب "**المعلم الثاني**" بعد أرسطو "**المعلم الأول**".

ولد الفارابي في (فاراب) في إقليم كازاخستان، اتقن العلوم الفلسفية، برع في العلوم الرياضية والموسيقى والكيمياء والفيزياء، ولديه معرفة باللغة التركية والعربية والفارسية واليونانية. وكان زكي النفس، قوي الذكاء، زاهداً في الدنيا، لا يحفل بمسكن أو مكسب أو ملبس أو مأكل أو مشرب. وكان يسهر الليالي للمطالعة والتأليف مستضيئاً بقنديل الحارس، وعاكفاً في النهار على التصنيف والتأليف في بساتين **دمشق** الغناء. ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفاه الأجل في **دمشق** ودفن فيها. وتنقل الفارابي في حياته بين دمشق وبغداد وحران وحلب طلباً للعلم والمعرفة. وكان سبب اهتمامه وقراءته للفلسفة، هو أن رجلاً أودع عنده جملة من كتب أرسطو، فاتفق أن نظر الفارابي فيها فلاقت منه قبولاً، فأتقنها وصار فيلسوفاً. ويقال أنه وجد كتاب "**النفس**" لأرسطو وعليه مكتوب بخط الفارابي: "**إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة**". كما يقال على أنه كان يقول:

"**قرأت الســماع الطبيعي لأرســطو الحكيم أربعين مرة، وارى أني محتاج إلى معاودة قراءته**". ومن اشــهر كتبه "**آراء أهل المدينة الفاضلة**" و "**الموسيقي الكبير**" و "**تحصيل السعادة**" و "**الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو**".

□ فلسفة الفارابي العامة

١.إن طابع فلسفة الفارابي هو طابع التوفيق بين الفلسفة والدين (الحكمة والشريعة).

فيعتقد الفارابي أن الفلسفة والدين مصدرهما واحد وهدفهما واحد. لذلك لا يمكن أن يكون بينهما أي خلاف. فالحكمة حق والشريعة حق، والحق لا يضاد الحق بل يؤيده ويشهد له. وإن كان بينهما فروق واختلافات. فهي في الظاهر والمظاهر والقشــور والألفاظ، لا في الجواهر والحقائق. فالحكمة والشــريعة يصــدران عن أصــل واحد ومصــدر واحد هو العقل الإلهي الفعال.

وبهذا وفق الفارابي بين الوحي والعقل، فالدين مرده الوحي والوحي من الله، والفلسفة مردها إلى الطبيعة والطبيعة من صــنع الله. لهذا فكلاهما يرجعان إلى مصــدر واحد واصــل واحد هو العقل الإلهي الفعال. وإن النبي والفيلســوف يســتمدان المعرفة من ينبوع العقل الإلهي، فالنبي يتلقاها عن طريق الوحي بواسطة **(جبريل عليه السلام)** حامل الوحي. أما الفيلسوف فيتلقى العلم والحكمة بعد أن يصــبح عقله عقلاً مســتفاداً من العقل الإلهي الفعال. لهذا فلا فرق بين الفلســفة والدين عند الفارابي ولا خلاف بين الحكماء والأنبياء، فالحكمة والشريعة وجهان لحقيقة واحدة.

٢.التوفيق بين الحكيمين أفلاطون وأرسطو.

يرى الفارابي أن الحقيقة واحدة والفلسفة التي تبحث عنها واحدة. ولهذا فلا خلاف بين الفيلسوفين (أفلاطون وأرسطو) وإذا كان هناك خلاف بينهما، فهو في الفروع التي ربما شــوهها التلاميذ من بعدهم فيما يروق لهم. والفارابي يرى في كتابه "**الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو**" إن "**ادراك الحواس انما يكون في الجزئيات، ومن الجزئيات تحصل الكليات، والكليات هي التجارب على الحقيقة**". ويتلخص منهجه التوفيقي بين الحكيمين أفلاطون وأرسطو بما يأتي:

أ.في الحياة الخاصة: لا فرق بين حياة الفيلسوفين في الأصل وإن اختلفا في الفرع، فأفلاطون كان زاهداً في الدنيا، بينما أخذ أرسطو بها وتزوج وانجب وصار وزيراً.

ب.نظرية المثل: يرى أفلاطون أن المثل هي صور مجردة من علائق الماديات، وهي كلية وثابتة ولا تندثر ولا تفسد، أي أن أفلاطون يفرق بين عالمي الحس والعقل. والمعرفة عنده تتحرك من المعقول إلى المحسوس من الكلي إلى الجزئي.

أما أرسطو فأنكر عالم المثل الأفلاطوني، وقرر أن كل شيء معقول هو في العقل وليس خارجاً عنه. "**فالمحسوس شرط للمعقول**" والمعرفة عنده تتحرك من الجزئي إلى الكلي، من المحسوس إلى المعقول.

ج.الجوهر: الجوهر عند أفلاطون هو القريب من العقل والبعيد عن الحس. أما أرســطو فيرى أن الجوهر موجود في الأشخاص. لهذا فهما متفقان لأنهما ينظران إلى الجوهر من زاويتين مختلفتين. لأن الخلاف يكون لو أنهما نظرا إلى الجوهر من زاوية واحدة.

□ نظرية المعرفة:

يؤكد الفارابي على أهمية الحس والحواس، ويتبنى قول أرسطو: "**المحسوس شرط المعقول، ومن فقد حساً ما فقد علماً ما**". أي أن الفارابي يتفق مع أرسطو على تأكيد الجانب الحسي في تحقيق المعارف ومنها الفنون. والإنسان يدرك الكليات والجوهر من خلال إحساسه بالجزئيات، فالجزء هو طريق الكل، والمحسوس هو طريق المعقول.

ويقسم الفارابي المعرفة إلى ثلاثة أنواع هي:

١.**المعرفة الحسية:** وهي المعرفة التي تُلتقط عن طريق الحواس الظاهرة والحواس الباطنة. فالحواس الظاهرة هي **(الحواس الخمس)** التي تنطبع فيها صور المحسوسات.

أما **الحواس الباطنة** فهي:

أ.**الحس المشترك:** ووظيفته مزدوجة:

١.يقبل صور المحسوسات الواردة إليه من الحواس ثم يرسلها إلى المخيلة.

٢.يقبل صوراً تطفو عليه من الباطن ويحس بها إحساسه بالصور الواردة من الخارج، فيخيل إلينا مثلاً أننا نسمع أصواتاً أو نبصر أشخاصاً أو نستنشق روائحاً.

ب.**المخيلة:** وهي تحفظ صور المحسوسات بعد غيابها عن الحس. فوظيفتها هي حفظ الصور وتركيبها لإنتاج صور جديدة.

ج.**الوهم:** هي القوة التي تدرك ما لا يدركه الحس. كأن تدرك الشاة العدوانية في صورة الذئب. أو أن تدرك نعامة في صورة حمامة. أو الأبيض اسود.

د.**الذاكرة:** ووظيفتها حفظ ما أدركه الوهم.

٢.**المعرفة العقلية:** يُعرف الفارابي العقل بأنه "**هيئة ما في مادة مُعدة لان تقبل رسوم المعقولات**". وله ثلاث مراتب.

أ.**العقل بالقوة أو (العقل المنفعل):** وهو العقل الذي يوجد بقوة الخلق، ويكون خالياً من كل معرفة ولكنه مستعد لتقبل المعرفة.

ب.**العقل بالفعل أو (العقل بالملكة):** وهو العقل بالقوة وقد أدرك المعقولات. أي يمكن أن يتحول العقل بالقوة إلى العقل بالفعل بعد إدراك المعقولات. وهذا الانتقال لا يكون بتأثير العقل الإنساني ذاته. وإنما بتأثير عقل آخر هو العقل الإلهي الفعال الذي هو أعلى من العقل الإنساني.

ج.**العقل المستفاد:** وهو العقل بالفعل وقد عقل المعقولات ويقترب بذلك من العقل الفعال، فيصبح الإنسان فيلسوفاً بما يفيضه عليه العقل الإلهي الفعال **(واهب الصور)** على عقله.

٣.**المعرفة الإشراقية:**

وهي المعرفة التي تتحقق عندما تتجلى أو تتنزل الحقائق من العقل الفعال **(واهب الصور)**. ولا تحصل إلا بفيض منه، فهي ومضات إشراقية تتنزل من العقل الإلهي الفعال على من استطاع أن ينكر وجوده المادي الحسي ويزدريه ويعكف على حياة التأمل والنظر العقلي ويتحرر من كل قيود المادة وشهوات الحس. فترتفع نفسه إلى مرتبة الكائنات العلوية فيتحقق لها الاتصال بنور الأنوار وتتم لها السعادة بادراك ما وراء الطبيعة.

إذن فالمعرفة الإشراقية هي ضرب من الوحي والإلهام، وهي معرفة الأنبياء والفلاسفة والفنانين. وهذا ما يفسر الرؤيا الصادقة والنبوة. إذ في مقدور صاحب المخيلة الكاملة الاتصال بالعقل الإلهي الفعال في حالتي النوم واليقضة وهم الأنبياء الذين يمتلكون من قوة المخيلة ما يؤهلهم للرؤيا والاتصال بالعقل الفعال في النوم واليقضة فيهبط عليهم الوحي عن طريق

العقل الفعال الذي يفيض عليهم النور والحق، وهكذا فالنبي – برأي الفارابي – بشـــر مُنح مخيلة عظيمة تمكنه من الوقوف على الإلهامات السماوية في مختلف الظروف. أما الفئة الثانية من البشـــر فهي التي تســـتطيع الاتصـــال بالعقل الفعال بواسطة المخيلة أثناء النوم فقط وهم الصالحون والأولياء.

الفلســفة الجمالية عند الفارابي : بعد أن توضــحت لنا الفلســفة الفارابية العامة، ونظرية المعرفة ومراتب العقل وقوى النفس. نستطيع أن نحدد الأسس الجمالية في فلسفة الفارابي بما يأتي:

١.الفن : نظراً لتأكيد الفارابي على الحس والحواس، فقد عدَّ الفن صـــفة أســـاســـها التجريب واكتمال الخبرة. وهذا التجريب يتصف بالتصوف الرافض للماديات الحسية المتدنية، وهو الذي يُنقي الروح ويطهرها من الشوائب وينقلها إلى مراتب القداسة والســمو، ويحقق لها الاتصـــال بالعقل الفعال **(واهب الصــور)**، فتتحقق للنفس عندئذ المعرفة الإشــراقية التي هي فيض من العقل الإلهي الفعال، فتتحقق لها السعادة بتحقيق القيم الخيرة في النفس.

٢.الفنان : هو ذلك الإنسـان الذي يرتبط بالمحسـوسـات بشـكل صـوفي، ورافضـاً للجزئيات المادية، ومدركاً للكليات، ويكون مسـتوى إدراكه ووعيه بمسـتوى تلقي المعرفة الإشـراقية. أي هو الذي يكتمل عقله بالمعقولات ويصـبح عقلاً مسـتفاداً يدرك الصـور البريئة من المادة، ولا يعود بينه وبين العقل الإلهي الفعال مسـافة فاصـلة فيقترب منه ويتحد فيه. وهو الإنسـان الذي اسـتطاع بقوته المتخيلة أن يبلغ الكمال في تلقي المدركات العقلية بفيض من العقـــل الإلهي الفعال **(واهب الصــور)** لهذا الإنسـان بواسـطة العقل المسـتفاد، ومن العقل يفيض إلى المخيلة. وهو ذلك الإنسـان الذي تتنزل عليه المعرفة الإشـراقية من العقل الفعال، ولا يحصـل ذلك إلا بفيض منه على من استطاع أن ينتصـر على قيود المادة وشـهوات الحس والحواس فترتفع نفسه إلى مصاف الكائنات العلوية فتتحقق له السعادة بادراك ما وراء الطبيعة.

٣.الإبداع والعملية الإبداعية

هي عملية عقلية بفعل البناء الإنسـاني للفنان وإمكاناته العقلية، والذي يسـتطيع عقله أن يتحول من العقل بالقوة إلى العقل بالفعل ويصـبح عقله مسـتفاداً ومكتسـباً للمعارف وخاصـة المعرفة الإشـراقية التي تفيض عليه من العقل الفعال **(واهب الصور)** فيضفي على الجمال الطبيعي جمالاً اكبر، فالأكثر إبداعاً هو الأكثر تلقياً للمعرفة الإشراقية.

٤.المحاكاة يفهمها الفارابي بأنها تشـبيه وربط بينها وبين الظلال المنعكسـة في المرآة التي نديرها في جميع الاتجاهات. وهي محاكاة المحســوســات المحفوظة في المخيلة أو محاكاة المعقولات الكاملة. أو محاكاة المعقولات الناقصـــة وهي أدنى أنواع المحاكاة.

٥.الجمال والإحســاس به يؤكد الفارابي على أن جمال الأول هو أفضـل الجمال لان وجوده افضـل الوجود. فجماله فائق الجمال لكل ذي جمال، وكذلك زينته وبهاءه، وهذه كلها في جوهره وفي ذاته وفي نفســـه وفيما يعقله من ذاته. هو الجمال بذاته، النقي والطاهر من كل شـــوائب المادة والحس. هو الجمال الكلي الأزلي الثابت الذي ندركه بالعقول، وهو الجمال الحقيقي، وكل ما عداه جمال ناقص وزائف. هو الجمال الكامل في ذاته.

إذن فلسفة الفارابي بدأت أرسطية ثم انتهت أفلاطونية ممزوجة بالروح الفلسفية الإسلامية.